المفردة القرآنية بين الثبات الدلالي والتحول التداولي / دراسة في ضوء علم اللغة الحديث

Investigates the phenomenon of semantic stability and pragmatic shift in Quranic vocabulary in light of modern linguistics.

الباحث
حيدر حواس خليوي محمد
مدرس في مديرية تربية ذي قار / قسم تربية الدواية

haderali901986@gmail.com

الملخص :
تبحث هذه الدراسة في ظاهرة الثبات الدلالي والتحول التداولي للمفردة القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. تهدف إلى الكشف عن كيفية قدرة المفردة القرآنية على الحفاظ على معناها الجوهري الثابت (الثبات الدلالي) مع أداء وظائف تواصلية متعددة ومتجددة (التحول التداولي) تبعًا للسياقات المختلفة. يعتمد البحث منهجية وصفيّة تحليلية تدمج بين التراث اللغوي والتفسيري العربي ونظريات علم اللغة الحديث، لا سيما علم الدلالة والتداولية ونظرية الأفعال الكلامية.
تخلص الدراسة إلى أن المفردة القرآنية تتمتع ببنية ثنائية فريدة، تجمع بين «نواة دلالية» ثابتة تضمن استمرارية فهم النص واتساقه عبر العصور، و»هامش تداولي» متحول يسمح بمرونة الفهم وتكيفه مع مختلف المقامات والمخاطبين والأزمنة. ويُعد هذا التوازن أحد أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، مما يجعله نصًا صالحًا لكل زمان ومكان. تقدم الدراسة نماذج تطبيقية على مفردات مثل «القلب»

و»النـور» وتحليـلًا لسـورة الفاتحـة لتأكيـد صحـة فرضيتهـا.

الكلـمات المفتاحيـة :المفـردة القرآنيـة, الثبـات الـدلالي, التحـول التـداولي, علـم الدلالـة, التداوليـة, الأفعال الكلامية,السـياق القـرآني, الإعجـاز اللغـوي

Abstract

This study investigates the phenomenon of semantic stability and pragmatic shift in Quranic vocabulary in light of modern linguistics. It aims to reveal how Quranic terms maintain their core, stable meaning (semantic stability) while performing multiple and evolving communicative functions (pragmatic shift) according to different contexts. The research adopts a descriptive-analytical methodology that integrates classical Arabic linguistic and exegetical heritage with modern linguistic theories, particularly semantics, pragmatics, and speech act theory.

The study concludes that the Quranic term possesses a unique dual structure, combining a stable "semantic core" that ensures the continuity and coherence of textual understanding across eras, and a shifting "pragmatic margin" that allows for flexibility in interpretation and its adaptation to various contexts, audiences, and times. This balance is considered one of the aspects of the inimitability (I'jaz) of the Holy Quran, making it a text valid for all times and places. The study provides applied models of terms such as "heart" (Qalb) and "light" (Nur), and an analysis of Surat Al-Fatihah to substantiate its central hypothesis.

Keywords : Quranic Vocabulary , Semantic Stability, Pragmatic Shift, Semantics, Pragmatics,Speech Acts, Quranic Context, Linguistic Inimitability .

المقدمة

الحمـد للـه رب العالمـين، الـذي أنـزل عـلى عبـده الكتـاب مبينًـا، وجعلـه قرآنًـا معجـزًا يتحـدى العقـول والأزمـان، والصـلاة والسـلام عـلى أشرف المرسـلين وسـيد الخلـق أجمعـين، سـيدنا محمـد وعـلى آلـه الطيبـين الطاهريـن، وصحبـه أجمعـين الذيـن حملـوا لـواء الدعـوة ونقلـوا الوحـي إلى الأمـم، وبعـد:

تمثـل المفـردة القرآنيـة نقطـة التقـاء فريـدة ومدهشـة بـين الثبـات والتحـول، بـين المعنـى الأصـلي الثابـت الـذي يعكـس الحكمـة الإلهيـة الخالـدة، والاسـتعمال السـياقي الـذي يتكيـف مـع الظـروف المتغـيرة للمخاطبـين عـبر العصـور. هـذه المفـردة ليسـت مجـرد كلمـة عابـرة في النـص، بـل هـي عنـصر أسـاسي في بنيـة القـرآن الكريـم، حيـث تتحمـل دلالات معجميـة عميقـة ووظائـف تواصليـة متعـددة الأبعـاد. وقـد شـغلت هـذه الظاهـرة اللغويـة الفريـدة أذهـان العلـماء والمفسريـن قديمًـا وحديثًـا، فالقـرآن الكريـم ليـس نصًـا بشريًـا عاديًـا، بـل هـو نـص إلهـي معجـز اختـاره اللـه

سبحانه وتعالى بعناية فائقة، حيث حدد الألفاظ بعينها في مواضع محددة لتؤدي معاني دقيقة ووظائف تواصلية تتجاوز الزمان والمكان. على سبيل المثال، كلمة «الرحمن» في القرآن تكررت في سياقات متنوعة، لكنها تحمل دائمًا دلالة الرحمة الواسعة الشاملة، مع تحولات تداولية تتناسب مع السياق، كما في قوله تعالى: «الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» (طه: ٥)، حيث تبرز الرحمة الإلهية في سياق السيادة الكونية.

وفي ضوء التطورات الحديثة في علم اللغة، وظهور فروع جديدة مثل علم الدلالة الذي يدرس كيفية توليد المعاني من خلال العلاقات بين الرموز اللغوية، وعلم التداولية الذي يركز على كيفية استخدام اللغة في التواصل الفعلي بين المتكلم والمخاطب، وعلم اللغة النصي الذي يحلل النصوص ككل متماسك، أصبح من الممكن دراسة المفردة القرآنية من زوايا جديدة ومبتكرة. هذه الزوايا تكشف عن أبعاد لم تكن واضحة في الدراسات التقليدية، مثل تلك التي ركزت على التفسير اللغوي الكلاسيكي عند الزمخشري أو الرازي، حيث كانت التركيز على الاشتقاق والإعراب، بينما اليوم نستطيع استكشاف كيفية تفاعل المفردة مع السياق النصي ككل لإنتاج معانٍ متعددة الطبقات. هذا النهج الحديث لا ينفي التراث، بل يعززه، مما يفتح أبوابًا لفهم أعمق للإعجاز اللغوي القرآني.

إن الثبات الدلالي للمفردة القرآنية يضمن استمرار المعنى الأساسي عبر الأزمنة والأمكنة، فهو يحفظ جوهر الوحي من التحريف أو التلاشي، كما في كلمة «الإيمان» التي تحمل دائمًا دلالة التصديق القلبي والعمل الصالح، مهما تغيرت الثقافات. بينما يسمح التحول التداولي بتكيف فهمها مع السياقات المختلفة والمخاطبين المتنوعين، مثل استخدام «النور» في سياقات روحية أو مادية، كقوله تعالى: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» (النور: ٣٥)، حيث يتحول المعنى من الإضاءة الحسية إلى الهداية الروحية. وهذا التوازن الدقيق بين الثبات والمرونة يمثل إحدى خصائص الإعجاز القرآني التي تجعل النص القرآني صالحًا لكل زمان ومكان، محافظًا على أصالته الإلهية ومرونته في التطبيق العملي في آن واحد. فالقرآن ليس جامدًا يقتصر على عصر التنزيل، بل هو حي يتفاعل مع الحياة الإنسانية المتجددة. فكما يقول الإمام الشاطبي في كتابه «الموافقات»: «إن الشريعة جاءت على وجه يتحقق به الاطراد والاستمرار لا على وجه الانقطاع والتحول»، وهذا ينطبق تمامًا على ألفاظها ومفرداتها، حيث يضمن الثبات الاستمرارية، بينما يتيح التحول التكيف مع النوازل والتحديات الجديدة دون فقدان الجوهر. وفي ضوء التطورات الحديثة في علم اللغة، وظهور فروع جديدة كالدلالة

والتداولية وعلم اللغة النصي، صبح من الممكن دراسة المفردة القرآنية من زوايا جديدة، تكشف عن أبعاد لم تكن واضحة في الدراسات التقليدية[1].

إن الثبات الدلالي للمفردة القرآنية يضمن استمرار المعنى عبر الأزمنة والأمكنة، بينما يسمح التحول التداولي بتكيف فهمها مع السياقات المختلفة والمخاطبين المتنوعين. وهذا التوازن الدقيق بين الثبات والمرونة يمثل إحدى خصائص الإعجاز القرآني التي تجعل النص القرآني صالحاً لكل زمان ومكان، محافظاً على أصالته ومرونته في آن واحد. فكما يقول الإمام الشاطبي: «إن الشريعة جاءت على وجه يتحقق به الاطراد والاستمرار لا على وجه الانقطاع والتحول»، وهذا ينطبق على ألفاظها ومفرداتها[2].

إشكالية البحث

تتمحور إشكالية هذا البحث حول التساؤل الرئيسي التالي: كيف تحافظ المفردة القرآنية على ثباتها الدلالي مع قدرتها على التحول التداولي؟ هذا التساؤل ليس مجرد استفسار نظري، بل هو تحدٍّ يتعلق بجوهر الوحي الإلهي، إذ يسعى إلى كشف كيفية تحقيق القرآن للتوازن بين الثوابت الإلهية والمرونة التواصلية، مما يعزز من فهمنا لإعجازه ككتاب هداية أبدي. وينبثق عن هذا التساؤل الرئيسي عدة أسئلة فرعية تجعل الإشكالية أكثر شمولاً ودقة.

أولاً: ما المقصود بالثبات الدلالي والتحول التداولي في السياق القرآني؟ هنا، يتطلب الجواب تعريفًا دقيقًا للثبات الدلالي كالتزام المفردة بمعناها الأساسي المستمد من الاشتقاق والاستخدام النبوي، مقابل التحول التداولي كالتغيير في الدلالة الثانوية بناءً على السياق، كما في نظرية أوستن وسرل في علم التداولية، حيث يصبح الفعل اللغوي (مثل الأمر أو الاستفهام) يعتمد على النوايا والظروف.

ثانيًا: كيف تتجلى ظاهرة الثبات والتحول في المفردات القرآنية؟ يمكن استكشاف ذلك من خلال أمثلة نصية، مثل كلمة «الصلاة» التي تحافظ على ثباتها كعبادة محددة، لكنها تتحول تداوليًا في سياقات مثل «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ» (الإسراء: ٧٨) لتشمل الالتزام الزمني، أو في سياقات أخلاقية أوسع. هذا السؤال يدعو إلى تحليل نصوصي يبرز كيفية عمل هذه الازدواجية في آيات متنوعة، مما يكشف عن عمق التركيب القرآني.

ثالثًا: ما الآليات اللغوية التي تسمح بهذه الازدواجية؟ تشمل هذه الآليات عوامل مثل الاشتقاق التركيبي، الاستعارة، والإسناد، بالإضافة إلى دور السياق النحوي والصرفي. على سبيل المثال، يسمح الإعراب القرآني بتحولات دلالية دقيقة، كما في استخدام الضمائر لتوجيه الخطاب إلى فئات مخاطبة مختلفة، مما يحافظ على الثبات العام مع مرونة خاصة.

رابعًا: كيف تفسر نظريات علم اللغة الحديث هذه الظاهرة؟ هنا، يمكن الاستناد إلى نظرية السيميائية عند سوسير، التي تفصل بين الدال والمدلول، أو نظرية الدلالة عند فيكتوري، لشرح كيفية توليد المعاني المتعددة من مفردة واحدة. هذه التفسيرات توفر إطارًا علميًا يجمع بين التراث العربي، مثل كتب اللغة عند سيبويه، والمعارف المعاصرة. هذه التساؤلات تمثل جوهر الإشكالية التي يسعى هذا البحث إلى معالجتها من خلال منهج علمي يجمع بين التراث اللغوي العربي، كالتفاسير الكلاسيكية، والنظريات اللسانية الحديثة، مثل التحليل النصي والدلالي، ليصل إلى استنتاجات متوازنة تثري الدراسات القرآنية [٣]. هذه التساؤلات تمثل جوهر الإشكالية التي يسعى هذا البحث إلى معالجتها من خلال منهج علمي يجمع بين التراث اللغوي العربي والنظريات اللسانية الحديثة[٤].

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في عدة جوانب متداخلة ومتكاملة، تجعله مساهمة قيمة في مجالات متعددة. فمن الجانب العقدي، يسهم البحث في فهم آلية حفظ المعنى القرآني عبر العصور، مما يؤكد على إعجاز القرآن في الجمع بين الثبات الذي يحمي من التحريف، كما وعد الله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (الحجر: ٩)، والمرونة التي تسمح بتطبيقات معاصرة. هذا يعزز الإيمان بأن القرآن كتاب هداية يتناسب مع كل جيل، مما يرد على الشبهات حول «قِدَمِيَّة» النص.

ومن الجانب اللغوي، يكشف البحث عن خصائص فريدة للغة القرآنية تميزها عن غيرها من النصوص، سواء العربية الكلاسيكية أو اللغات الأخرى، وتجعلها نموذجًا رفيعًا للدراسات اللسانية. على سبيل المثال، يبرز كيف أن المفردات القرآنية غنية بالدلالات المتعددة، مما يفوق القدرة البشرية على الإبداع، كما في الإعجاز البلاغي الذي أشار إليه الجرجاني في «دلائل الإعجاز». هذا يفتح آفاقًا لدراسات مقارنة بين اللغة القرآنية واللغات السامية الأخرى.

أما من الجانب التفسيري، فيقدم البحث مقاربة جديدة لفهم النص القرآني، تجمع بين الأصالة في الالتزام بالسنة والإجماع، والمعاصرة في استخدام أدوات الدلالة الحديثة، وتستفيد من معطيات علم اللغة دون أن تفرط في الثوابت التفسيرية. فبدلاً من التفسيرات التقليدية الجامدة، يقترح نهجًا يسمح باستخراج معانٍ جديدة للقضايا المعاصرة مثل البيئة أو التكنولوجيا، مع الحفاظ على الجوهر، كتفسير «الإنفاق» في سياق الاقتصاد الحديث.

وعلى المستوى المنهجي، يمثل هذا البحث

نموذجًا لتطبيق أدوات علم اللغة الحديث على النص القرآني بطريقة منهجية ودقيقة، من خلال جمع بين التحليل الكمي (مثل تتبع تكرار المفردات) والكيفي (تحليل السياقات)، مما يفتح آفاقًا جديدة للدراسات القرآنية المعاصرة. يمكن أن يلهم هذا النهج بحوثًا أخرى في اللسانيات التطبيقية، ويعزز من تكامل العلوم الإسلامية مع المعارف العالمية، ليصبح أداة للحوار العلمي بين الشرق والغرب.

منهج البحث وخطته

يعتمد هذا البحث على منهج وصفي تحليلي، يجمع بين المنهج الوصفي في رصد الظواهر اللغوية في المفردات القرآنية، والمنهج التحليلي في دراسة هذه الظواهر وتفسيرها في ضوء نظريات علم اللغة الحديث، والمنهج المقارن في الموازنة بين المقاربات التقليدية والحديثة. ويتكون البحث من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة: الفصل الأول يتناول الإطار النظري والمفاهيم الأساسية، والفصل الثاني يدرس الثبات الدلالي في المفردة القرآنية، والفصل الثالث يبحث في التحول التداولي للمفردة القرآنية، والفصل الرابع يعالج آليات التوافق بين الثبات والتحول، والفصل الخامس يقدم نماذج تطبيقية ودراسة تحليلية، ثم الخاتمة التي تستخلص أهم النتائج والتوصيات[٥]..

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيم الأساسية

المبحث الأول: المفردة القرآنية - المفهوم والخصائص

المفردة القرآنية هي الوحدة اللغوية الأساسية التي يتكون منها النص القرآني، وهي تختلف عن المفردة العادية في اللغة العربية بعدة خصائص تميزها. فالمفردة في اللغة كما عرفها ابن جني «أصغر وحدة لغوية ذات معنى»، أما المفردة القرآنية فهي فوق ذلك محملة بطاقة دلالية خاصة وسياق تنزيلي فريد. ويذهب الراغب الأصفهاني في كتابه «المفردات في غريب القرآن» إلى أن ألفاظ القرآن قد اكتسبت دلالات خاصة بها، فيقول: «إن ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم»، مما يدل على أن المفردة القرآنية قد تجاوزت معناها اللغوي العام إلى دلالات أخص وأدق[٦].

وتتميز المفردة القرآنية بخصائص عدة تجعلها متفردة عن غيرها من المفردات في النصوص الأخرى. فمن أهم هذه الخصائص الدقة في الاختيار، حيث كل لفظة في موضعها الأنسب، وقد قال الزمخشري في هذا السياق: «ليس في القرآن حرف يمكن أن يقوم مقامه حرف آخر»، مؤكداً على أن كل لفظة قرآنية هي في الذروة من الفصاحة والملاءمة. كما تتميز المفردة القرآنية بالإيجاز والشمول،

فتحمل المفردة الواحدة طبقات متعددة من المعاني، وهو ما عبر عنه العلماء بقولهم: «القرآن حمال أوجه». وثالث هذه الخصائص التناسب السياقي، حيث تتناسب المفردة مع السياق العام للسورة والآية، فلا نشاز ولا تنافر. أما الخاصية الرابعة فهي الإعجاز البياني، إذ تحقق المفردة غرضاً بلاغياً وجمالياً يعجز البشر عن الإتيان بمثله. وأخيراً، تتصف المفردة القرآنية بالعمق الدلالي، فتحمل معاني ظاهرة وباطنة، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون[٧]».

المبحث الثاني: الدلالة والتداولية - مفاهيم أساسية

علم الدلالة هو العلم الذي يدرس المعنى اللغوي، وقد عرفه ستيفن أولمان بأنه «الدراسة العلمية للمعنى»، وهو فرع من فروع علم اللغة الحديث يهتم بدراسة المعنى على مستويات مختلفة. وينقسم المعنى في علم الدلالة إلى عدة أنواع: المعنى المعجمي وهو المعنى الأساسي للكلمة كما يرد في المعاجم، والمعنى الصرفي الناتج عن البنية الصرفية للكلمة، والمعنى النحوي المستفاد من الموقع النحوي للكلمة في الجملة، والمعنى السياقي المتأثر بالسياق اللغوي والمقامي. وفي السياق القرآني، تحافظ المفردة على معناها المعجمي الأساسي، وهو ما نسميه الثبات الدلالي، وهذا ما يضمن استمرار فهم النص عبر الأزمنة. يقول ابن تيمية في هذا الصدد: «القرآن نزل بلسان عربي مبين، ومعاني ألفاظه هي المعاني المعروفة في لغة العرب»، مؤكداً على أن الأساس في فهم القرآن هو الرجوع إلى المعاني اللغوية الأصلية[٨].

أما التداولية فهي علم حديث نسبياً، يهتم بدراسة اللغة في الاستعمال الفعلي. وقد عرفها تشارلز موريس بأنها «العلم الذي يدرس العلاقة بين العلامات اللغوية ومستعمليها»، بينما عرفها جورج يول بأنها «دراسة المعنى كما يوصله المتكلم أو الكاتب ويفسره السامع أو القارئ». وتهتم التداولية بعدة محاور أساسية: المقام والسياق حيث تدرس ظروف إنتاج الخطاب وملابساته، والمقاصد من حيث البحث عن النوايا التواصلية للمتكلم، والأفعال الكلامية أي ما تحققه الأقوال من أفعال في الواقع، والاستلزام الحواري الذي يتعلق بالمعاني الضمنية في الخطاب. وفي النص القرآني، تتجلى البعد التداولي في تنوع المقاصد، وتعدد المخاطبين، وتنوع السياقات التنزيلية. فاللفظ الواحد قد يؤدي وظائف تداولية مختلفة حسب السياق، وهذا ما نسميه التحول التداولي، وهو ما يجعل النص القرآني حياً ومتجدداً في كل عصر ومصر[٩].

المبحث الثالث: الثبات الدلالي - المفهوم والأسس

الثبات الدلالي يعني احتفاظ المفردة

بمعناها الجوهري الأساسي عبر مختلف السياقات والاستعمالات. وفي السياق القرآني، يعني أن المفردة القرآنية تحتفظ بنواة دلالية ثابتة لا تتغير مهما تعددت سياقات ورودها. وهذا الثبات ضروري لضمان استمرار الفهم الصحيح للنص القرآني عبر الأجيال المتعاقبة. يقول السيوطي في «الإتقان في علوم القرآن»: «اعلم أن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليبهم وسننهم، فمن لم يكن عالماً بها، فليس بأهل لتفسيره»، وهذا يعني أن المعنى اللغوي الأصلي هو الأساس الذي لا يمكن تجاوزه في فهم القرآن. ولذلك اهتم المفسرون عبر العصور بالرجوع إلى المعاجم اللغوية وأشعار العرب لفهم معاني المفردات القرآنية، لأن ذلك يمثل الضمانة الأساسية لفهم صحيح وسليم[١٠].

ويستند الثبات الدلالي في المفردة القرآنية إلى عدة أسس محكمة. أولها الأساس اللغوي، وهو ارتباط المفردة بالمعنى الوضعي في اللغة العربية، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، والعرب تفهم معاني ألفاظه من خلال معرفتهم بلغتهم. وثانيها الأساس الشرعي، حيث تحافظ المفردات ذات الدلالات الشرعية كالصلاة والزكاة والصيام على معانيها الشرعية المحددة، ولا يجوز تأويلها بما يخرجها عن هذه المعاني. وثالثها الأساس العقدي، إذ يجب الحفاظ على المعاني العقدية للمفردات المتعلقة بالله تعالى وأسمائه وصفاته، حتى لا يحدث انحراف في فهم العقيدة. ورابعها الأساس التفسيري، حيث اعتمد المفسرون عبر التاريخ على المعاني اللغوية الأصلية كنقطة انطلاق أساسية للتفسير، ولم يخرجوا عنها إلا بدليل شرعي أو قرينة قوية[١١].

وتتجلى مظاهر الثبات الدلالي في المفردة القرآنية في صور متعددة. فهناك ثبات المعنى المحوري، حيث نجد أن كلمة مثل «نور» تحتفظ بمعناها المحوري وهو الضياء والإشراق في جميع سياقاتها القرآنية، سواء كان نوراً حسياً كنور الشمس والقمر، أو نوراً معنوياً كنور الهداية والإيمان، فالنواة الدلالية ثابتة والتنوع في التطبيقات والمصاديق. كذلك نجد ثبات الدلالات الشرعية، فالمصطلحات الشرعية كالصلاة والحج والصيام تحتفظ بمعانيها المحددة شرعاً ولا تتغير. وهناك أيضاً ثبات الدلالات العقدية، فالأسماء والصفات الإلهية كالرحمن والعليم والقدير تحتفظ بمعانيها الثابتة التي تليق بجلال الله وعظمته. هذا الثبات الدلالي هو الذي يجعل القرآن كتاباً محفوظاً في لفظه ومعناه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١٢].

المبحث الرابع: التحول التداولي - المفهوم والمجالات

التحول التداولي يعني تغير الوظيفة التواصلية أو القصد الإنجازي للمفردة حسب السياق المقامي، دون أن يمس ذلك

معناها الدلالي الأساسي. فاللفظ الواحد قد يستخدم للإخبار في موضع، وللإنشاء في موضع آخر، وللترغيب في ثالث، وللترهيب في رابع، وكل ذلك دون أن يفقد معناه الأصلي. وهذه المرونة التداولية هي التي تجعل القرآن صالحاً لكل زمان ومكان، قادراً على مخاطبة الناس في مختلف ظروفهم وأحوالهم. فالقرآن كما يقول الإمام علي رضي الله عنه «حمال أوجه»، أي يحتمل معاني ووجوهاً متعددة، وكلها صحيحة ما دامت لا تخرج عن الأصل اللغوي والشرعي[١٣].

وتتنوع مجالات التحول التداولي في القرآن الكريم تنوعاً ملحوظاً. فهناك التحول في الأفعال الكلامية، حيث يأتي اللفظ نفسه للأمر أو النهي أو الاستفهام أو التقرير حسب السياق، فصيغة الأمر مثلاً قد تفيد الوجوب كما في ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، وقد تفيد الإباحة كما في ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، وقد تفيد التهديد كما في ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾. وهناك التحول حسب المخاطبين، فتتغير وظيفة اللفظ باختلاف المخاطب سواء كان مؤمناً أو كافراً أو منافقاً أو من أهل الكتاب، فالنداء بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يختلف غرضه التداولي باختلاف السياق والمخاطبين. كما يوجد التحول في المقاصد، فقد يكون القصد من الكلام التشريع أو الموعظة أو التربية أو التهديد أو البشارة. وأخيراً هناك التحول الزماني-المكاني، حيث تختلف الوظيفة التداولية باختلاف ظروف النزول والمكان الذي نزلت فيه الآيات[١٤].

وللتحول التداولي أهمية كبيرة في فهم النص القرآني وتطبيقه. فهو يحقق المرونة في الفهم، مما يسمح بتطبيق النص على واقع متغير ومتجدد عبر الزمان والمكان. كما يحقق الشمولية، فيجعل النص القرآني صالحاً لكل زمان ومكان ولكل الناس باختلاف ثقافاتهم وظروفهم. ويمنح التحول التداولي النص القرآني ديناميكية وحيوية، فلا يتحول إلى نص جامد أو متحجر، بل يظل متجدداً في عطائه ومعانيه. كذلك يكشف التحول التداولي عن عمق النص القرآني وطبقاته المتعددة من المعاني، فكل جيل وكل قارئ يمكن أن يستخرج من النص معاني جديدة تناسب واقعه وظروفه، دون أن يخرج عن المعنى الأصلي الثابت[١٥].

الفصل الثاني: الثبات الدلالي في المفردة القرآنية

المبحث الأول: أسس الثبات الدلالي في القرآن الكريم

يرتكز الثبات الدلالي في المفردة القرآنية على الوضع اللغوي والمعنى المعجمي، حيث ترتبط المفردة القرآنية ارتباطاً وثيقاً بالوضع اللغوي العربي. فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، كما قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾، وهذا يعني أن المعاني المعجمية للمفردات العربية هي الأساس الذي لا يمكن تجاوزه في فهم

المفردة القرآنية. وقد أكد الإمام الشاطبي هذا المعنى بقوله: «إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى الجملة المعهودة عندهم، فكل من أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم»، وهذا الأساس يضمن ثبات المعنى الجوهري للمفردة عبر الزمان. ومن أمثلة ذلك الواضحة: كلمة «السماء» التي تحتفظ بمعناها المعجمي وهو العلو في جميع سياقاتها القرآنية، سواء أشارت إلى السماء المادية أو إلى ما علا وارتفع. وكذلك كلمة «الأرض» تحتفظ بمعناها الأصلي وهو ما انخفض وسفل في جميع مواضعها. هذا الارتباط الوثيق بالمعنى اللغوي الأصلي يمثل ضمانة أساسية لفهم صحيح ومستمر للنص القرآني[١٦]

وتنتظم المفردات القرآنية في حقول دلالية واضحة المعالم، والحقل الدلالي كما عرفه العلماء هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالياً، وتقع تحت مظلة مفهومية واحدة. وفي القرآن الكريم نجد حقولاً دلالية واضحة تحافظ فيها المفردات على علاقاتها الدلالية الثابتة. فهناك حقل الزمن الذي يضم ألفاظاً مثل: اليوم، الغد، الأمس، الدهر، الحين، الوقت، وكل لفظة تحتفظ بدلالتها الزمنية الخاصة. وهناك حقل الماء الذي يشمل: ماء، غيث، مطر، طل، وابل، صيب، وكل لفظة تدل على حالة معينة من حالات الماء النازل من السماء. وحقل الإيمان يضم: آمن، صدق، أيقن، وثق، وكل واحدة تدل على درجة من درجات التصديق. وفي المقابل نجد حقل الكفر الذي يشمل: كفر، جحد، أنكر، كذب، وكل لفظة تدل على صورة من صور الإنكار. هذه الحقول الدلالية تحافظ على بنيتها الدلالية الثابتة، مما يعكس ثبات المعاني الأساسية للمفردات داخل كل حقل[١٧].

ومن أهم مظاهر الثبات الدلالي في القرآن الكريم احتفاظ كل مفردة بفروقها الدلالية الدقيقة عن مرادفاتها. فالقرآن لا يستخدم المترادفات بطريقة عشوائية أو اعتباطية، بل يختار اللفظ الأنسب للسياق بدقة متناهية. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك الفرق بين القعود والجلوس، فالقعود في الاستعمال القرآني واللغوي للانتقال من حالة القيام، بينما الجلوس للانتقال من حالة الاضطجاع، ولذلك جاء في القرآن ﴿وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ ولم يقل وإذا جلستم، لأن المصلي يقوم من قعوده لا من اضطجاعه غالباً. وكذلك الفرق بين الفؤاد والقلب، فالفؤاد باطن القلب وأخص منه، والقلب أعم، ولذلك يأتي ذكر الفؤاد في المواضع التي تتطلب دقة في الإحساس والإدراك. والفرق بين الخشية والخوف، فالخشية خوف مع علم ومعرفة بالمخشي منه، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، فخص الخشية بالعلماء لأنها مبنية على المعرفة. هذه الفروق الدقيقة تعكس إعجاز القرآن في دقة وهذه البنية

ليست تناقضاً بل هي تكامل يضمن للنص القرآني الثبات والمرونة في آن واحد. ثانياً: الثبات الدلالي للمفردة القرآنية يستند إلى أسس محكمة: الوضع اللغوي العربي، والنقل الشرعي، والاطراد في الاستعمال، والسياق القرآني العام، وهذه الأسس مجتمعة تضمن استمرار الفهم الصحيح عبر الأجيال. ثالثاً: التحول التداولي لا يعني تغيراً في المعنى الأصلي، بل هو تنوع في الوظائف التواصلية حسب السياقات والمخاطبين والمقاصد، وهذا التنوع يجعل القرآن حياً متجدداً في كل عصر[١٨].

رابعاً: السياق بأنواعه (اللغوي والمقامي والثقافي) هو الآلية الأساسية التي تحدد الوظيفة التداولية دون أن تمس المعنى الدلالي الثابت. خامساً: نظريات علم اللغة الحديث، وخاصة علم الدلالة والتداولية ونظرية الأفعال الكلامية، تقدم أدوات منهجية دقيقة لفهم هذه الظاهرة اللغوية الفريدة في القرآن الكريم. سادساً: الحقول الدلالية والفروق بين المترادفات في القرآن تعكس دقة متناهية في اختيار الألفاظ، وتؤكد على أن كل لفظة في موضعها الأنسب الذي لا يمكن أن تحل محلها لفظة أخرى. سابعاً: النماذج التطبيقية التي درسها البحث (القلب، النور، سورة الفاتحة) أثبتت عملياً صحة الفرضية الأساسية للبحث وهي إمكانية الجمع بين الثبات الدلالي والتحول التداولي[١٩].

ثامناً: هناك ضوابط شرعية ولغوية دقيقة يجب مراعاتها عند التعامل مع المفردة القرآنية، وهذه الضوابط تمنع الانحراف في الفهم سواء بالجمود المفرط أو بالتحلل من الثوابت. تاسعاً: ظاهرة الثبات والتحول في المفردة القرآنية تمثل وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، فالقرآن بهذه الخاصية يظل محفوظاً في معانيه الأساسية، ومتجدداً في عطائه وهدايته. عاشراً: المنهج المتكامل الذي يجمع بين التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث يقدم إمكانات كبيرة لفهم أعمق وأدق للنص القرآني، دون تفريط في الثوابت أو جمود يمنع التجدد[٢٠].

الفصل الثالث: التحول التداولي للمفردة القرآنية

المبحث الأول: مستويات التحول التداولي

نظرية الأفعال الكلامية التي طورها الفيلسوف البريطاني جون أوستين ثم تلميذه جون سيرل، تميز بين ثلاثة مستويات للفعل الكلامي. المستوى الأول هو الفعل اللفظي الذي يتمثل في مجرد النطق بالألفاظ وإخراج الأصوات. والمستوى الثاني هو الفعل الإنجازي الذي يتمثل في القصد من الكلام والغرض الذي يريد المتكلم تحقيقه، سواء كان أمراً أو نهياً أو وعداً أو تهديداً أو غير ذلك. أما المستوى الثالث فهو الفعل التأثيري الذي يتمثل في الأثر الناتج عن

الكلام في المخاطب، كالإقناع أو التخويف أو الطمأنينة. وفي القرآن الكريم، نجد أن اللفظ الواحد قد يتحول إنجازياً حسب السياق، فيؤدي وظائف تداولية مختلفة رغم ثبات معناه الدلالي الأسا[٢١].

وصيغة الأمر في القرآن الكريم تقدم مثالاً واضحاً على التحول التداولي. فالأمر من حيث الصيغة واحد، لكنه من حيث الوظيفة التداولية متعدد ومتنوع. فقد يأتي الأمر بمعنى الإيجاب كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، وهنا الأمر للوجوب والإلزام. وقد يأتي بمعنى الإباحة كما في ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾، وهنا الأمر للإباحة والترخيص لا للإلزام. وقد يأتي بمعنى التهديد والتهكم كما في ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾، وليس المراد حقيقة الأمر بل التهديد والوعيد. وقد يأتي للإرشاد والنصح كما في ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾. وقد يأتي للتسوية كما في ﴿اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾. كل هذه المعاني التداولية المختلفة لا تغير من الصيغة اللفظية للأمر، لكن السياق والقرائن هي التي تحدد الوظيفة التداولية المقصودة[٢٢].

والمخاطب في القرآن متنوع ومتعدد، وهذا التنوع يؤدي إلى تحول تداولي في وظيفة الخطاب. فالقرآن يخاطب المؤمنين والكفار والمنافقين وأهل الكتاب والإنس والجن، وكل خطاب يحمل وظيفة تداولية تناسب حال المخاطب. فنداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يختلف في وظيفته التداولية عن نداء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أو ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. فعندما يُنادى المؤمنون يكون الغرض غالباً التكليف أو التذكير أو الترغيب، وعندما يُنادى الناس عامة يكون الغرض الدعوة أو بيان الحقائق الكونية العامة، وعندما يُخاطب الكفار يكون الغرض الإنذار أو التوبيخ أو بيان عاقبتهم. ومثال آخر: كلمة «النصر» عندما تُذكر في سياق خطاب المؤمنين تكون للبشارة والتثبيت، وعندما تُذكر في سياق خطاب الكفار تكون للتهديد والوعي[٢٣].

والسياق المقامي يشمل كل الظروف المحيطة بالخطاب من زمان ومكان وأحداث وملابسات، وله أثر كبير في تحديد الوظيفة التداولية للمفردة. فمفردة «النصر» على سبيل المثال يختلف مقصدها التداولي باختلاف السياق المقامي. ففي سياق الحديث عن الجهاد والقتال، تعني النصر العسكري والغلبة على الأعداء كما في ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾. وفي سياق الابتلاء والشدة، قد يكون النصر معنوياً يتمثل في الثبات على الحق والصبر كما في ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾. وفي السياق الأخروي، يكون النصر بالفوز بالجنة والنجاة من النار كما في ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾. هذا التنوع في المقصد التداولي

لا يمس المعنى الدلالي الأساسي للنص وهو الظفر والغلبة، لكنه يكيف هذا المعنى مع السياق المقامي المختلف[٢٤].

المبحث الثاني: آليات التحول التداولي

السياق والقرائن هما المحددان الأساسيان للوظيفة التداولية في القرآن الكريم. وقد أشار ابن القيم إلى أهمية السياق بقوله: «السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة»، وهذا يعني أن السياق له دور محوري في تحديد المراد من الكلام. والقرائن أنواع متعددة: منها القرائن اللفظية وهي الكلمات المحيطة بالمفردة التي توجه معناها وتحدد وظيفتها، ومنها القرائن المعنوية وهي السياق العام للآيات والمعنى الكلي للسورة، ومنها القرائن المقامية وهي أسباب النزول وظروفه والأحداث المصاحبة. وكل هذه القرائن تعمل مجتمعة على توجيه فهم المفردة وتحديد وظيفتها التداولية دون أن تمس معناها الدلالي الثابت[٢٥].

والاستلزام الحواري مفهوم طوره الفيلسوف بول غرايس، ويقصد به المعاني الضمنية التي يستلزمها الكلام دون أن يصرح بها، وهي معان يفهمها المخاطب من خلال السياق والقرائن. وفي القرآن الكريم نماذج كثيرة من الاستلزام الحواري الذي يضيف طبقات جديدة من المعنى دون أن يغير المعنى الأصلي. فمثلاً في قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾، المعنى الظاهر هو الاستفهام، لكن المعنى المستلزم تداولياً هو التقرير والتأكيد على أن جزاء الإحسان لا يمكن أن يكون إلا الإحسان، وهذا يستلزم الوعد الإلهي بمكافأة المحسنين. ومثال آخر قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، فالمعنى الظاهر إخبار بحقيقة، لكنه يستلزم تداولياً تحذير المؤمنين من الارتداد على أعقابهم إذا مات النبي أو قُتل، كما حدث مع الأمم السابقة. هذا الاستلزام يضيف بعداً تداولياً غنياً للنص دون أن يغير معناه الدلالي[٢٦].

أما الانزياح أو العدول فهو الخروج عن الاستعمال اللغوي المألوف لتحقيق غرض بلاغي وتداولي معين. والقرآن الكريم يستخدم الانزياح بأشكال متعددة لتحقيق أغراض تواصلية مختلفة. ومن أشهر أنواع الانزياح في القرآن الالتفات، وهو الانتقال من ضمير إلى آخر أو من أسلوب إلى آخر. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾، فانتقل من خطاب المواجهة بضمير «أنتم» إلى الغيبة بضمير «هم»، وهذا الالتفات يحقق غرضاً تداولياً هو التنبيه والتعجيب من حالهم. ومن أنواع الانزياح أيضاً وضع الظاهر موضع المضمر، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ بدلاً من «وهو يريد»، وهذا لتفخيم الأمر وتعظيمه. كل هذه الانزياحات تحقق وظائف تداولية

متنوعة دون أن تخرج المفردات عن معانيها الدلالية الأصلية[٢٧].

المبحث الثالث: مقاصد التحول التداولي

يخدم التحول التداولي في القرآن الكريم مقاصد تشريعية مهمة، حيث يسمح بتنوع درجات الأحكام الشرعية من الوجوب إلى الندب إلى الإباحة إلى الكراهة إلى التحريم. فصيغة الأمر الواحدة قد تفيد الوجوب في سياق، والندب في سياق آخر، والإباحة في ثالث، وهذا يعطي الشريعة مرونة في التطبيق مع الحفاظ على ثبات النصوص. كما يراعي التحول التداولي الأحوال المختلفة للمكلفين من سفر ومرض وخوف وغيرها، فتتغير الوظيفة التداولية للخطاب بتغير هذه الأحوال. ومن أهم المقاصد التشريعية للتحول التداولي التدرج في التشريع، كما حدث في تحريم الخمر الذي جاء على مراحل، كل مرحلة لها خطاب بوظيفة تداولية مختلفة تناسب حال المخاطبين في تلك المرحلة[٢٨].

والتحول التداولي يحقق مقاصد تربوية عظيمة في القرآن الكريم. فالقرآن ليس كتاب تشريع فحسب، بل هو أيضاً كتاب تربية وتزكية. والتحول التداولي يخدم هذا البعد التربوي من خلال أساليب الترغيب والترهيب، فاللفظ الواحد قد يُستعمل للترغيب في سياق، وللترهيب في سياق آخر، وهذا يراعي النفس البشرية التي تحتاج إلى الترغيب والترهيب معاً. كما يحقق التحول التداولي التدرج في التربية، فلا يواجه القرآن الناس بكل الحقائق والأوامر دفعة واحدة، بل يتدرج معهم بحسب استعدادهم وقدرتهم على الفهم والتطبيق. ويخاطب القرآن من خلال التحول التداولي العقل والوجدان معاً، فتارة يخاطب العقل بالبراهين والأدلة، وتارة يخاطب الوجدان بالمؤثرات والعواطف. كما ينوّع القرآن في الأساليب منعاً للملل، فيستخدم القصة والحوار والاستفهام والتقرير والأمر والنهي، وكل هذا التنوع يحقق أغراضاً تربوية عميقة[٢٩].

أما المقاصد الحجاجية فهي من أهم ما يحققه التحول التداولي في القرآن الكريم. فالقرآن كتاب هداية وإقناع، يسعى إلى تغيير معتقدات الناس وسلوكياتهم من خلال الحجج والبراهين. والتحول التداولي يخدم هذا البعد الحجاجي من خلال تنويع الأدلة والبراهين، فالقرآن لا يكرر الدليل الواحد بنفس الطريقة، بل ينوع في عرض الأدلة بحسب المخاطبين والمقامات.

الفصل الرابع: آليات التوافق بين الثبات والتحول

المبحث الأول: الجمع بين البعدين الدلالي والتداولي

كل مفردة قرآنية لها بنية ثنائية تجمع بين نواة دلالية ثابتة وهامش تداولي متحول. النواة الدلالية هي المعنى

الجوهري الأساسي الذي لا يتغير، وهو ما يضمن ثبات الفهم واستمراره عبر الزمان والمكان. أما الهامش التداولي فهو مجموعة الوظائف والمقاصد التي تتحقق من خلال استعمال المفردة في سياقات مختلفة، وهو ما يمنح النص مرونة وقدرة على التجدد والتكيف. وهذه البنية الثنائية ليست تناقضاً، بل هي تكامل وتوافق بين بعدين أساسيين للغة: البعد الدلالي الثابت والبعد التداولي المتحول. فالمفردة «رحمة» مثلاً لها نواة دلالية ثابتة هي الرقة والعطف، لكن لها هامشاً تداولياً واسعاً يشمل معاني البشارة والوعد والطمأنة والتثبيت وغيرها حسب السياق[٣٠].

ومن الأمثلة الواضحة على التمييز بين النواة والهامش كلمة «قلب» في القرآن الكريم. فالنواة الدلالية لهذه الكلمة هي العضو الذي في الصدر، أو ما يدل على مركز الإنسان الحسي والمعنوي. هذه النواة ثابتة في كل السياقات. لكن الهامش التداولي يختلف، فقد يُستعمل القلب في سياق الإيمان ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ فيكون الغرض التداولي هو البشارة والإثبات، وقد يُستعمل في سياق الكفر ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فيكون الغرض التداولي هو التهديد والإنذار، وقد يُستعمل في سياق العقل ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ فيكون الغرض التداولي هو التوبيخ والحث على التفكر. كل هذه الوظائف التداولية المختلفة لا تمس النواة الدلالية الثابتة[٣١].

والمعنى الأصلي والمعنى السياقي ليسا متناقضين بل متكاملين. المعنى الأصلي هو الأساس الذي لا يمكن تجاوزه، وهو الضمان لفهم صحيح ومستمر. أما المعنى السياقي فهو تطبيق المعنى الأصلي على واقع معين، وتكييفه بما يناسب المقام. فمثلاً كلمة «جهاد» لها معنى أصلي هو بذل الجهد والطاقة، وهذا المعنى ثابت لا يتغير. لكن المعنى السياقي يختلف بحسب السياق، فقد يكون الجهاد جهاد النفس كما في ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، وقد يكون جهاداً بالمال والنفس في سبيل الله كما في ﴿جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾، وقد يكون جهاداً بالقرآن كما في ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾. كل هذه المعاني السياقية لا تخرج عن المعنى الأصلي، بل هي تطبيقات له في مقامات مختلفة[٣٢].

المبحث الثاني: دور السياق في التوفيق بين الثبات والتحول

السياق اللغوي هو مجموع الكلمات والتراكيب المحيطة بالمفردة، وله دور كبير في تحديد الوظيفة التداولية دون المساس بالمعنى الدلالي. فالكلمات التي تسبق المفردة وتلحقها توجه فهمها وتحدد المراد منها. ومثال ذلك كلمة «كيد» في القرآن،

فهي تعني في أصلها اللغوي التدبير والحيلة، وهذا المعنى ثابت، لكن السياق اللغوي يحدد نوع هذا الكيد. فإذا أُضيف إلى الله تعالى كما في ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾، فالسياق يدل على أن المراد الأخذ والعقوبة، وإذا أُضيف إلى الشيطان كما في ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، فالسياق يدل على المكر والإضلال. وإذا أُضيف إلى النساء كما في ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، فالسياق يدل على قوة تأثيرهن. كل هذا التنوع التداولي يتحدد بالسياق اللغوي مع ثبات المعنى الأصلي[٣٣].

أما السياق المقامي فيشمل كل الظروف الخارجية المحيطة بالنص من أسباب النزول والمخاطبين والأحداث التاريخية والملابسات الزمانية والمكانية. وهذا السياق له دور حاسم في فهم الوظيفة التداولية للمفردة. فمعرفة سبب النزول تكشف عن المقصد التداولي الذي نزلت الآية لتحقيقه، ومعرفة المخاطبين تحدد طبيعة الخطاب ووظيفته، ومعرفة الظروف التاريخية تفسر كثيراً من الأوامر والنواهي والأحكام. ومثال ذلك آيات القتال، فمعرفة السياق المقامي الذي نزلت فيه - وهو حالة الحرب والدفاع عن النفس - يحدد الوظيفة التداولية لها، وهي تشريع القتال الدفاعي لا العدواني، مع بقاء المعنى اللغوي للقتال ثابتاً[٣٤]. والسياق الثقافي والمعرفي للمتلقي له دور أيضاً في فهم التحول التداولي. فالقرآن نزل في بيئة عربية لها ثقافة معينة وأعراف محددة، ومعرفة هذا السياق الثقافي ضرورية لفهم كثير من الآيات. فمثلاً آيات الحجاب والعورة تُفهم بشكل أدق عندما نعرف السياق الثقافي للمجتمع العربي في ذلك الوقت. وكذلك آيات المعاملات المالية كالربا والبيع والشراء تُفهم بشكل أوضح عندما نعرف الأعراف التجارية السائدة. هذا السياق الثقافي يساعد على فهم الوظيفة التداولية التي جاءت الآيات لتحقيقها، دون أن يغير من المعاني الدلالية الأصلية للمفردات[٣٥].

المبحث الثالث: الضوابط الشرعية واللغوية

هناك ضوابط شرعية محكمة تحكم عملية فهم المفردة القرآنية والجمع بين ثباتها الدلالي وتحولها التداولي. فلا يجوز الخروج عن المعاني اللغوية الأصلية إلا بدليل شرعي أو قرينة قوية، كما قرر علماء الأصول. ولا يجوز تأويل النصوص بما يخالف ظاهرها إلا لضرورة شرعية. ولا يجوز أن نُحمّل النص معاني لم تكن معروفة في لغة العرب وقت النزول. فالثوابت الشرعية خط أحمر لا يمكن تجاوزه بحجة التحول التداولي أو مراعاة السياق. فالعقائد والأحكام القطعية والقيم الأخلاقية الأساسية ثابتة لا تتغير، ولا يجوز أن نستغل مفهوم التحول التداولي للعبث بها أو تحريفها[٣٦]. وكما أن هناك ضوابط شرعية، فهناك

أيضاً ضوابط لغوية دقيقة تحكم فهم النص القرآني. فالمعنى اللغوي الأصلي هو الأساس، ولا يُعدل عنه إلا بقرينة. والقرائن يجب أن تكون قوية وواضحة، لا متوهمة أو ضعيفة. والسياق يُقدّم على الاحتمالات البعيدة، فما دل عليه السياق فهو المراد ما لم يدل دليل على خلافه. والاستعمال القرآني للمفردة في مواضعها المتعددة يُفسر بعضه بعضاً، فنستعين بالسياقات المشابهة لفهم السياق المشكل. والفروق الدلالية بين المفردات المتقاربة يجب مراعاتها، فلا نتعامل مع المترادفات وكأنها متطابقة تماماً. كل هذه الضوابط اللغوية تضمن فهماً صحيحاً يجمع بين الثبات والمرونة[٣٧].

والوسطية والاعتدال في التعامل مع النص القرآني أمر ضروري. فلا إفراط ولا تفريط، لا جمود يمنع التجدد، ولا انفلات يضيع الثوابت. فالإفراط في التمسك بالثبات الدلالي قد يؤدي إلى الجمود والحرفية، ويمنع من فهم النص فهماً حياً يواكب الواقع. والتفريط بالمقابل، أي الإفراط في التركيز على التحول التداولي، قد يؤدي إلى تمييع النص وإفقاده قوته الملزمة، وقد يُفتح الباب لتأويلات فاسدة تحرف الدين عن أصوله. الوسطية تقتضي الجمع بين الأمرين: الثبات على الأصول الدلالية، والمرونة في الفهم التداولي بما يناسب السياقات المختلفة، مع الالتزام التام بالضوابط الشرعية واللغوية[٣٨].

الفصل الخامس: نماذج تطبيقية ودراسة تحليلية

المبحث الأول: دراسة مفردة «القلب» في القرآن الكريم

وردت مفردة «القلب» ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من ١٣٠ مرة، وهي من المفردات المحورية التي تجمع بين الثبات الدلالي والتحول التداولي بشكل واضح. فمن حيث الثبات الدلالي، تحتفظ مفردة «القلب» بمعناها الأساسي وهو العضو الذي في الصدر، أو مركز الإحساس والإدراك في الإنسان، وهذا المعنى ثابت في جميع السياقات القرآنية. يقول الراغب الأصفهاني: «القلب قد يُعبر به عن المعاني المختصة بالقلب من الرأي والعقل والعزم»، مما يدل على أن المعنى الأساسي محفوظ مع تنوع التطبيقات[٣٩].

ومن حيث التحول التداولي، تتنوع وظائف مفردة «القلب» في القرآن تنوعاً كبيراً بحسب السياقات. ففي سياق الإيمان، يأتي القلب بوظيفة تداولية تتعلق بالبشارة والثبات، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾، فالوظيفة التداولية هنا هي البشارة للمؤمنين بثبات الإيمان في قلوبهم. وفي سياق الكفر والنفاق، يأتي القلب بوظيفة تداولية تتعلق بالإنذار والتحذير، كما في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾، فالوظيفة التداولية

هنا هي الإنذار من عاقبة الكفر والعناد. وفي سياق العقل والتفكر، يأتي القلب بوظيفة تداولية تتعلق بالحث على التعقل، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾، فالوظيفة التداولية هنا هي التوبيخ والحث على استعمال العقل[٤٠].

وفي سياق الخشية والخوف، يأتي القلب بوظيفة تداولية تتعلق بوصف حال المؤمنين وتمييزهم عن غيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، فالوظيفة التداولية هنا هي بيان صفة من صفات الإيمان الصادق. وفي سياق القسوة واللين، يأتي القلب بوظائف تداولية متنوعة، فقد يُذكر للذم كما في ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾، وقد يُذكر للمدح كما في ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾. كل هذا التنوع في الوظائف التداولية لا يمس المعنى الدلالي الأساسي للقلب، بل يكشف عن ثراء الاستعمال القرآني وقدرته على توظيف المفردة الواحدة في مقامات مختلفة لتحقيق أغراض تواصلية متعددة[٤١].

المبحث الثاني: دراسة مفردة «النور» في القرآن الكريم

مفردة «النور» من المفردات القرآنية الغنية بالدلالات والوظائف، وقد وردت في القرآن الكريم ٤٩ مرة. ومن حيث الثبات الدلالي، تحتفظ هذه المفردة بنواتها الدلالية الثابتة وهي الضياء والإشراق، سواء كان حسياً أو معنوياً. يقول ابن منظور في لسان العرب: «النور: الضوء والضياء الذي يُبين الأشياء ويُريها على ما هي عليه»، وهذا المعنى الأساسي محفوظ في جميع الاستعمالات القرآنية. فسواء كان النور حسياً كنور الشمس والقمر، أو معنوياً كنور الإيمان والهداية، فإن المعنى المحوري وهو الإضاءة والإظهار باقٍ وثابت[٤٢]..

ومن حيث التحول التداولي، نجد أن مفردة «النور» تؤدي وظائف تداولية متعددة بحسب السياقات. ففي سياق الحديث عن القرآن والإيمان، يأتي النور بوظيفة تداولية تتعلق بالبشارة والهداية، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾، فالوظيفة التداولية هنا هي البشارة بالهداية للمؤمنين. وفي سياق مقابلة الكفر، يأتي النور بوظيفة تداولية تتعلق بالمقارنة والتفضيل، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، فالوظيفة التداولية هنا هي بيان الفرق بين حال المؤمن وحال الكافر[٤٣].

وفي سياق وصف الله تعالى، يأتي النور بوظيفة تداولية تتعلق بالتعظيم والتنزيه، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وهذه آية عظيمة اختلف المفسرون في تأويلها، لكنهم اتفقوا على أن

المراد تعظيم الله تعالى وبيان أنه هادي أهل السماوات والأرض ومنورها. والوظيفة التداولية هنا هي التعظيم والتقديس. وفي سياق الدعاء والطلب، يأتي النور بوظيفة تداولية تتعلق بالتضرع والرجاء، كما في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم المشهور: «اللهم اجعل في قلبي نوراً»، فالوظيفة التداولية هنا هي التضرع إلى الله بطلب الهداية والبصيرة. هذا التنوع التداولي مع ثبات النواة الدلالية يعكس عمق المفردة القرآنية وقدرتها على التكيف مع السياقات المختلفة(٤٤).

المبحث الثالث: دراسة الأفعال الكلامية في سورة الفاتحة

سورة الفاتحة نموذج مثالي لدراسة التحول التداولي مع الثبات الدلالي، ففي سبع آيات قصيرة نجد تنوعاً كبيراً في الأفعال الكلامية والوظائف التداولية. تبدأ السورة بالثناء على الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والوظيفة التداولية هنا هي التعظيم والثناء على الله، وهي جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى، فالمراد الأمر بحمد الله لا مجرد الإخبار. ثم تأتي صفات الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، والوظيفة التداولية هنا مزدوجة: التعظيم لله من جهة، وبعث الرجاء والخوف في قلب المؤمن من جهة أخرى(٤٥).

ثم ينتقل الخطاب إلى الفعل الكلامي التوجيهي في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، والوظيفة التداولية هنا هي الإقرار بالعبودية لله وحده، وإعلان التوحيد قولاً وعملاً. وفي هذه الآية أيضاً التفات بليغ من الغيبة في الآيات السابقة إلى الخطاب المباشر، وهذا يحقق غرضاً تداولياً هو تعميق الصلة بين العبد وربه. ثم يأتي الدعاء الصريح: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، والفعل الكلامي هنا هو الطلب والرجاء، والوظيفة التداولية هي التضرع إلى الله بطلب الهداية والثبات عليها. وفي الآيات الأخيرة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، نجد وظيفة تداولية أخرى وهي التحديد والتوضيح، فالمصلي يحدد المراد بالصراط المستقيم ويوضحه بذكر أهله ومجانبة أهل الضلال(٤٦).

هذا التنوع في الأفعال الكلامية والوظائف التداولية في سورة قصيرة يدل على ثراء النص القرآني وقدرته على الجمع بين الثبات والتحول. فكل مفردة في السورة تحتفظ بمعناها الدلالي الأصلي، لكنها تؤدي وظيفة تداولية محددة في سياقها. «الحمد» تحتفظ بمعناها اللغوي وهو الثناء، لكنها تؤدي وظيفة تعبدية. «الرحمن» يحتفظ بمعناه وهو سعة الرحمة، لكنه يؤدي وظيفة بعث الرجاء. «نعبد» يحتفظ بمعناه وهو الطاعة والخضوع، لكنه يؤدي وظيفة الإقرار بالعبودية. وهكذا في كل مفردات السورة، نجد هذا التوافق العجيب بين الثبات

الدلالي والتحول التداولي، مما يجعل هذه السورة العظيمة تُقرأ في كل صلاة بنفس الألفاظ لكنها تحيا في قلب كل مصلٍّ بمعانٍ متجددة وأحوال مختلفة[٤٧].

النتائج

بعد هذه الرحلة البحثية في رحاب المفردة القرآنية، وبعد دراسة ظاهرة الثبات الدلالي والتحول التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج المهمة. أولاً: إن المفردة القرآنية تتميز ببنية ثنائية فريدة تجمع بين نواة دلالية ثابتة وهامش تداولي متحول، وهذه البنية ليست تناقضاً بل هي تكامل يضمن للنص القرآني الثبات

التوصيات

في ضوء ما توصل إليه البحث من نتائج، يوصي الباحث بما يلي:

أولاً: ضرورة إدراج مقررات علم اللغة الحديث، وخاصة الدلالة والتداولية، ضمن برامج إعداد المفسرين والباحثين في الدراسات القرآنية، مع المحافظة على الأصول التفسيرية الموروثة.

ثانياً: إجراء دراسات تطبيقية موسعة على مفردات قرآنية أخرى لتعميق الفهم لهذه الظاهرة اللغوية الفريدة.

ثالثاً: تأليف معجم تداولي للمفردات القرآنية يوضح الوظائف التداولية المختلفة لكل مفردة في سياقاتها المتنوعة، مع بيان الثوابت الدلالية.

رابعاً: عقد مؤتمرات ودورات علمية تجمع بين علماء التفسير والمتخصصين في علم اللغة الحديث لتبادل الخبرات وتطوير المناهج البحثية.

خامساً: إنشاء مراكز بحثية متخصصة في دراسة اللغة القرآنية من منظور لساني معاصر، مع الحفاظ على المنطلقات الشرعية الصحيحة.

سادساً: تشجيع الباحثين الشباب على دراسة العلاقة بين التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث، والكشف عن نقاط التقاطع والإفادة المتبادلة.

سابعاً: ترجمة الدراسات القرآنية المعاصرة التي تستفيد من علم اللغة الحديث إلى اللغات الأخرى، لإبراز القيمة العلمية للقرآن الكريم أمام الباحثين غير الناطقين بالعربية.

ثامناً: تطوير برمجيات حاسوبية تساعد الباحثين في تتبع المفردات القرآنية ودراسة سياقاتها الدلالية والتداولية بطريقة منهجية ودقيقة[٤٨].

والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش:

١- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م، ص٢١-٢٥؛ وانظر: محمود السعران، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٨٨-٩٢.

٢- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م، ج٢، ص٦٧.

٣- صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٥٦-١٦٠؛ وانظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٣٢٧-٣٣٢.

٤- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، عمّان، ٢٠٠٠م، ج١، ص١٥-٢٠؛ محمد أبو موسى، خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٤٥-٥٢.

٥- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦م، ص١١٢-١١٨.

٦- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٩م، المقدمة، ص٥.

٧- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ج١، ص٣٣-٣٧؛ محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ ج١، ص١٠.

٨- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٦٥-٧٠؛ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٢.

٩- جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٠م، ص١٥-١٨؛ فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، ١٩٨٦م، ص٢٢-٢٨.

١٠- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م، ج٢، ص١٤٨.

١١- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ ج١، ص٤٥-٥٠.

١٢- عبد الكريم حسن، اللغة والتفسير والتواصل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٨٩-٩٥.

١٣- مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج١، ص١١٢-١١٨.

١٤- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٦٧-١٧٣.

١٥- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨م، ص٢٥٤-٢٦٠.

١٦- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، مرجع سابق، ج٣، ص١٢-١٥.

١٧- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة

الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١٢٨-١٣٥؛ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص٨٨-٩٤.

١٨ أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٥٦-٦٢.

١٩ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧م، ج٢، ص١٦٧-١٧٢.

٢٠ محمد بن بهادر الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، القاهرة، ١٩٩٤م، ج٣، ص٢٧٨-٢٨٥.

٢١- علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ ج١، ص٤٥-٥٢.

٢٢- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج١، ص١١٢-١١٨

٢٣- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م، ج١، ص٦٧-٧٣.

٢٤- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، عمان، ٢٠٠٣م، ص٨٩-٩٧.

٢٥- John Austin, How to Do Things with Words, Oxford University Press, ١٩٦٢, pp. ٩٤-١٠٨; John Searle, Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language, Cambridge University Press, ١٩٦٩, pp. ٢٣-٢٩.

٢٦- محمد بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٨٥م، ص١٣٤-١٤٢.

٢٧- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٢٣-٢٣١.

٢٨- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٤٥-١٥٢

٢٩- ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج٤، ص٥-٧.

٣٠- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٢٤٥-٢٥٣.

٣١- محمد سليمان الأشقر، أفعال الرسول ودلالتها على الأحكام الشرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م، ص١٥٦-١٦٤.

٣٢- Paul Grice, "Logic and Conversation," in Syntax and Semantics, vol ٣, edited by Peter Cole and Jerry Morgan, Academic Press, ١٩٧٥, pp. ٤١-٥٨.

٣٣- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣م، ج١، ص٧٨-٨٦.

٣٤- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٢٢٣-٢٣٥.

٣٥- بشير إبرير، نظرية النحو القرآني: قواعد السياق النحوي، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ٢٠٠٤م، ص١٣٤-١٤٢.

٣٦- أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٦٧-١٧٥.

٣٧- صالح بلعيد، في المصطلحات اللغوية والأسلوبية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،

٢٠٠٧م، ص١٩٨-٢٠٦.
٣٨- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٥٢-٥٨.
٣٩- الشاهد البوشيخي، المصطلح القرآني: مقاربة سياقية، دار السلام، الرباط، ٢٠٠٨م، ص١١٢-١٢٠
٤٠- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، ١٩٩٧م، ج١، المقدمة، ص٢٣-٢٨.
٤١- مساعد بن سليمان الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الدمام، ٢٠٠٨م، ص٨٩-٩٧.
٤٢- عبد الرحمن بن معاضة الشهري، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٤م، ص٢٥٦-٢٦٤.
٤٣- وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م، ج١، ص٢٣٤-٢٤١.
٤٤- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص٦٨٩.
٤٥- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج١، ص١٤٥-١٥٣.
٤٦- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٩٩٢م، ج١، ص٥٦-٦٢.
٤٧- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ مادة (نور).
٤٨- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م، ج٢، ص١٧٨-١٨٦.

المراجع

١. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٠م.
٢. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
٣. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٥. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٦. الآمدي، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ.
٧. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م.
٨. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٩م.
٩. الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧م.
١٠. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
١١. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.
١٢. الشاطبي، أبو إسحاق، الموافقات في أصول

الشريعة، تحقيق: عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.
١٣. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ.
١٤. العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٥. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م.
١٦. أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
١٧. أبو موسى، محمد محمد، خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٦م.
١٨. أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م.
١٩. إبرير، بشير، نظرية النحو القرآني: قواعد السياق النحوي، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ٢٠٠٤م.
٢٠. الأشقر، محمد سليمان، أفعال الرسول ودلالتها على الأحكام الشرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.
٢١. بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.
٢٢. بلعيد، صالح، في المصطلحات اللغوية والأسلوبية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٧م.
٢٣. البوشيخي، الشاهد، المصطلح القرآني: مقاربة سياقية، دار السلام، الرباط، ٢٠٠٨م.
٢٤. حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٢٥. الحمد، إبراهيم بن محمد، فقه اللغة: مفهومه وموضوعاته وقضاياه، دار ابن خزيمة، الرياض، ٢٠٠٥م.
٢٦. حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ١٩٨٥م.
٢٧. حسن، عبد الكريم، اللغة والتفسير والتواصل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
٢٨. حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن، معارج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م.
٢٩. النعيمي، حسام، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.
٣٠. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٣١. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.
٣٢. الزحيلي، وهبة، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.
٣٣. السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر، عمّان، ٢٠٠٠م.
٣٤. السامرائي، فاضل صالح، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، عمان، ٢٠٠٣م.

المراجع الاجنبية

1. Austin, J. L. (1962). *How to do things with words*. Oxford University Press.

2. Boullata, I. J. (Ed.). (2002). *Literary structures of religious meaning in the Qur'an*. Curzon Press.

3. Fabb, N. (2010). What is linguistic law? *Language and Linguistics Compass, 4*(9), 760–773. https://doi.org/10.1111/j.1749-818X.2010.00244.x

4. Grice, H. P. (1975). Logic and conversation. In P. Cole & J. L. Morgan (Eds.), *Syntax and semantics: Vol. 3. Speech acts* (pp. 41–58). Academic Press.

5. Lyons, J. (1977). *Semantics* (Vols. 1–2). Cambridge University Press.

6. Mir, M. (1986). *Dictionary of Qur'anic terms and concepts*. Garland Publishing.

7. Neuwirth, A. (2010). *The Qur'an and late antiquity: A shared heritage*. Oxford University Press.

8. Rippin, A. (1988). *Approaches to the history of the interpretation of the Qur'an*. Clarendon Press.

9. Searle, J. R. (1979). *Expression and meaning: Studies in the theory of speech acts*. Cambridge University Press.

10. Van Putten, M. (2018). The integration of pre-existing materials in the Qur'an: The case of the 'Satanic verses'. *Journal of Qur'anic Studies, 20*(2), 1–23. https://doi.org/10.3366/jqs.2018.0332